

الفارابي وجهوده اللغوية والنحوية من خلال كتاب الحروف

الباحثة / نزهة بريك امبارك السعيدى الهذلي

باحثة بمرحلة الدكتوراه (تخصص لغويات)

قسم اللغة والنحو والصرف

كلية اللغة العربية - جامعة أم القرى بمكة المكرمة

المملكة العربية السعودية

مقدمة :

نحمد الله تعالى ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأما بعد فيحتل كتاب الحروف للفارابي أهمية خاصة بين أعمال الفارابي، ويعد الكتاب بحثاً في الفلسفة الأولى، وهو من أكبر مصنفات أبي نصر الفارابي وأعظمها غناء للمهتمين بدراسة الفكر العربي عامة والفلسفة الإسلامية وفقه اللغة العربية خاصة، كتبه إمام المنطقيين في عصر بلغ فيه الفكر العربي أوجه في تفهم أمور العلم واللغة، فلا يستغني عن قراءته من يشتغل في تاريخ الفلسفة واللغة .

ومن المعلوم أن دراسة اللغة ضمن إطار فلسفة اللغة ليس عملاً سهلاً وذلك بسبب وجهات النظر الكثيرة والمختلفة حول الموضوع، كما أن اللغة تعد من الظواهر البارزة والعجيبة في الوجود، وهي خاصة بالإنسان وتعد علامة مميزة من العلامات التي تميزه عن الكائنات الأخرى .ومن هنا صارت اللغة من اهتمامات العلماء والفلاسفة من حيث النشأة والمفهوم حيث اتفق كثير من الفلاسفة بأن اللغة ظاهرة اجتماعية نشأت في أحضان المجتمع كضرورة تاريخية ترتبط بتطور البشر فكرياً ومعرفياً، وهي أيضاً ظاهرة كونية عالمية أي ليست ملكاً لجنس دون غيره أو شعب دون آخر .

وعليه فيتناول هذا البحث دراسة جهود الفيلسوف الفارابي اللغوية والنحوية في كتابه (الحروف) حاولت فيه أن أبين موقفه من اللغة وكيفية ظهورها ونشأتها وأهميتها للمنطق والفلسفة ..لأصل إلى نتيجة وهي كيفية تعامل الفيلسوف مع اللغة ... وكان منهجي في هذا البحث منهج وصفي - تحليلي لموضوعات البحث .

وقد سبقني مجموعة من الباحثين إلى دراسة الفارابي لكن من جهات غير وجهة هذا البحث، وقد اطلعت من هذه الدراسات على دراسة الباحث / مشعل الحربي عن: التفكير الصوتي عند الفارابي في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة ماجستير بقسم اللغة العربية - جامعة الشرق الأوسط ٢٠١٤-٢٠١٥ م، ودراسة الباحثة/ بلعز كريمة حول: إشكالية اللفظ والمعنى في الفلسفة الإسلامية " الفارابي نموذجاً" رسالة دكتوراه بكلية العلوم الاجتماعية - جامعة وهران - الجزائر ٢٠١٢ - ٢٠١٣ م. والدرستان السابقتان لا تتعارضان مع بحثي حيث إن محتويات هذا البحث عالجت نقاط أهمها الباحثون السابقون.

لذا وجدت من المفيد تناول هذا اللغوي وإلقاء الضوء على جانب من شخصيته اللغوية والنحوية مع التركيز على بعض من الجوانب المفيدة من كتابه الحروف، ولكي يتم ذلك قسمت البحث إلى المباحث التالية:

مقدمة : تلقي الضوء على الموضوع وأهدافه والدراسات السابقة.

المبحث الأول : الفارابي وكتابه الحروف.

المبحث الثاني: نشأة اللغة والنحو عند الفارابي، ويشتمل على:

أولاً: نشأة اللغة .

ثانياً: (نشأة علم النحو).

المبحث الثالث : من الآراء اللغوية والنحوية في الكتاب

المطلب الأول : تعريف المقولات ووظيفتها .

المطلب الثاني : مدلولات المقولات.

المطلب الثالث : أنواع المقولات .

المطلب الرابع : (أشكال الألفاظ وتصريفها) .

المطلب الخامس : (النسبة والإضافة عند النحويين).

المطلب السادس : أقسام علم اللسان عند الفارابي .

الخاتمة: وتشتمل على ابرز النتائج وقائمة المراجع

المبحث الأول : الفارابي وكتابه الحروف.

الفَارَابِيُّ (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ = ٨٧٤ - ٩٥٠ م) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني: أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، مستعرب. ولد في فاراب (على نهر جيحون) وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام. واتصل بسيف الدولة ابن حمدان. وتوفي بدمشق. كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. ويقال: إن الآلة المعروفة بالقانون، من وضعه، ولعله أخذها عن الفرس فوسعها وزادها إتقاناً فنسبها الناس إليه.^(١)

وعرف بالمعلم الثاني، لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول) وكان زاهداً في الزخارف، لا يحفل بأمر مسكن أو مكسب، يميل إلى الانفراد بنفسه، ولم يكن يوجد غالباً في مدة إقامته بدمشق إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض. له نحو مئة كتاب، منها (الفصوص - ط) ترجم إلى الألمانية، و (إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها - ط) و (آراء أهل المدينة الفاضلة - ط) و (إحصاء الإيقاعات - خ) في النغم، نحو ٣٠ ورقة، في معهد المخطوطات، و (المدخل إلى صناعة الموسيقى - خ) و (الموسيقى الكبير - ط) و (الأدب الملوكية - خ) و (مبادئ الموجودات) رسالة ترجمت إلى العبرية وطبعت بها، و (إبطال أحكام النجوم - خ) نسخته بطهران، و (أغراض ما بعد الطبيعة - خ) و (السياسة المدنية - خ) و (جوامع السياسة - ط) رسالة، و (النواميس) و (الخطابة) و (وما ينبغي أن يتقدم الفلسفة) وكتاب في أن (حركة الفلك سمرمية).^(٢) وهو من أهل مدينة فاراب من مدن الترك في أرض خراسان، وكان أبوه قائد جيش وهو فارسي المنتسب، وكان ببغداد مدة ثم انتقل إلى الشام، وأقام به إلى حين وفاته.^(٣)

(١) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م، (٧ / ٢٠)

(٢) الأعلام، (٧ / ٢٠)، وينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤ هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (١٠٥ - ١٠٢ / ١).

(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٤٩ هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، (٩ / ٤٦)

وكان - رحمه الله - فيلسوفا كاملا، وإماما فاضلا، بحرا منه يغرف، وحبرا له يعرف، قد أتقن العلوم الرياضية، زكي النفس، قويّ الذكاء، متجنبًا عن الدنيا، مقتنعا منها بما يقوم به أوده، ويسير سيرة الفلاسفة المتقدّمين، وكان له قوة في صناعة الطب، وعلم بالأمر الكلية منها، ولم يباشر أعمالها، ولا حاول جزئياتها.

قال ابن أبي أصيبعة: "وحدثني سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي الأمدي - رحمه الله تعالى-: أن الفارابي كان في أول أمره ناطورا في بستان بدمشق، وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها، والتطلع إلى آراء المتقدمين وشرح معانيها، وكان ضعيف الحال، حتى إنه كان في الليل يسهر بالمطالعة والتصنيف، ويستضيء بالقدنديل الذي للحارس، وبقي كذلك مدة. (١)

ثم إنه عظم شأنه، وظهر فضله، واشتهرت تصانيفه، وكثرت تلاميذه، وصار أوجد زمانه، وعلمة وقته. واجتمع به الأمير سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي، وأكرمه إكراما كثيرا، وعظمت منزلته عنده، وكان له مؤثرا. (٢)

ونقلت من خط بعض المشايخ، أن أبا نصر الفارابي سافر إلى مصر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، [ورجع إلى دمشق، وتوفي بها سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة]، عند سيف الدولة علي بن حمدان، وفي خلافة الراضي، وصلى عليه سيف الدولة في خمسة عشر رجلا من خاصته، ويذكر أنه لم يكن يتناول من سيف الدولة من جملة ما ينعم به عليه سوى أربعة دراهم فضة في اليوم، يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه، ولم يكن معنتيا بهيئة، ولا [منزل] ولا مكسب. ويذكر أنه كان يغتذي بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني فقط. ويذكر أنه كان في أول أمره قاضيا، فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك، وأقبل بكلية على تعليمها، ولم يسكن إلى نحو من أمور الدنيا البتة.

ويذكر أنه كان يخرج إلى الحرّاس في الليل من منزله، يستضيء بمصابيحهم فيما يقرؤه، وكان في علم صناعة الموسيقى وعملها قد وصل إلى غاياتها، وأتقنها إتقانا لا مزيد عليه. ويذكر أنه صنع آلة غريبة يسمع منها ألحان بديعة، يحرك بها الانفعالات،

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين

(المتوفى: ٧٤٩هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، (٩ / ٤٦)

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين

(المتوفى: ٧٤٩هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، (٩ / ٤٧)

ويذكر أن سبب قراءته للحكمة أن رجلا أودع عنده جملة من كتب أرسطوطاليس، فاتفق أنه نظر فيها، فوافقت منه قبولا وتحرك إلى قراءتها، ولم يزل إلى أن أتقنها فهما، وصار فيلسوفا بالحقيقة. (١)

ونقلت من كلام لأبي نصر الفارابي في معنى [اسم] الفلسفة، قال: "اسم الفلسفة: يوناني، وهو دخيل إلى العربية، وهو على مذهب لسانهم فيلسوفا، ومعناه إيثار الحكمة. وهو مركب من: "فيلا" ومن: "سوفيا". ف: "فيلا" الإيثار. و"سوفيا": الحكمة. والفيلسوف مشتق من: "الفلسفة" وهو على مذهب لسانهم: "فيلسوفوس". فإن هذا التغيير هو تغيير كثير من الاشتقاقات عندهم، ومعناه: المؤثر للحكمة. والمؤثر للحكمة هو الذي يجعل الوكد من حياته، وغرضه من عمره الحكمة.

وحكى أبو نصر الفارابي في ظهور الفلسفة ما هذا نصه، قال: "إن أمر الفلسفة اشتهر في أيام ملوك اليونانيين، بعد وفاة أرسطوطاليس بالإسكندرية إلى آخر أيام المرأة. وأنه لما توفي بقي التعليم بحاله فيها، إلى أن ملك ثلاثة عشر ملكا، وتوالى في مدة ملكهم من معلمي الفلسفة اثنا عشر معلما أحدهم المعروف ب" أندرو نيقوس". وكان آخر هؤلاء الملوك المرأة، فغلبها أو غسطنس الملك من أهل رومية، وقتلها، واستحوذ على الملك، فلما استقر له نظر في خزائن الكتب وصنعتها، فوجد فيها نسخا من كتب أرسطوطاليس، قد نسخت في أيامه، وأيام ثاوفرسطس، ووجد المعلمين والفلاسفة قد عملوا كتباً في المعاني التي عمل فيها أرسطو [فأمر أن تتسخ تلك الكتب، التي كانت نسخت في أيام أرسطو] وتلاميذه، وأن يكون التعليم منها، وأن ينصرف عن الباقي.

أما كتاب الحروف فهو بحث في الفلسفة الأولى إضافة إلى مناقشته مواضيع لغوية تتعلق بنشأة اللغة وعلاقة اللغة والمنطق، وإشكالية اللفظ والمعنى عن طريق محاولة استنتاجيه منطقياً لتأسيس مفهوم "الكلي" وتشريع دور المنطق في البيئة الإسلامية التي كانت رافضة لها. كما نجد أن الكتاب تفسير لكتاب "ما بعد الطبيعة" لأرسطوطاليس. ومما هو جدير بالذكر أن أرسطو بحث في الحروف في كتابين من كتبه الخاصة، هما: "المقولات" و"ما بعد الطبيعة"، وقد كثر النقاش في العلاقة بينهما بين العلماء، وهل يعدّ كتاب الحروف للفارابي شرح أو تلخيص لأيّ منهما؟؟

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين

(المتوفى: ٧٤٩هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، (٩/ ٤٨)

وعند التدقيق في الأمر نجد أن كتاب "المقولات" يكاد يقتصر على تعريف المقولات وتمييز دلالات الأسماء المفردة الدالة على أجناس المعقولات المفردة. أما كتاب "ما بعد الطبيعة" يفصل أرسطو فيه النظر في كيفية وجود المقولات وجهة تصور النفس لها، وتعيين الألفاظ التي تقع عليها، وجهة استعمالها في العلوم والصنائع، ونشأة المعاني العامية والفلسفية وحدث اللغة والفلسفة والملة والصلة بينها... وهذه الأمور نجدها في كتاب الحروف للفارابي الذي ينظر في المقولات نظر ما بعد الطبيعة فيها. ومن هنا رجّح محقق الكتاب أن "الحروف" للفارابي شرح وتفسير لكتاب "ما بعد الطبيعة" لأرسطو، ولا يعني هذا أن الكتابين يتفقان في جميع الموضوعات التي ينظران فيها بل هناك فروق يرجع بعضها إلى أن الفارابي ينظر في الألفاظ والمعاني المشهورة في لغات وعصور وملل غير لغة أرسطو طاليس وعصره وملته.. وعموماً يعتبر أول كتاب شامل ينشر للفارابي في علم ما بعد الطبيعة وما نشر له من قبل في هذا العلم مختصرات موجزة لا يفصل الفارابي فيها القول في الموجود وأعراضه كما يفعل في هذا الكتاب... ولاشك أنه كان مصدراً استقى منه شراح كتاب (ما بعد الطبيعة) الذين أتوا بعد الفارابي مثل: ابن سينا وابن رشد الكثير من آرائهم في العلم الإلهي. (١)

وتنقسم الحروف عند الفارابي إلى قسمين: ١- حروف مبنى و ٢- حروف معنى ويفرق علماء اللغة بينهما بأن حروف المباني: هي الحروف الهجائية التي تبنى منها الكلمة وليس للحرف منها معنى مستقل في نفسه ولا في غيره، ويطلق عليها حروف التهجى، (٢) أما حروف المعاني: فهي الحروف التي تربط الأسماء بالأفعال والأسماء بالأسماء وتدل على معنى في غيرها ويطلق عليها حروف الربط (٣)، منها: حروف الجر وحروف العطف وحروف الاستفهام.

ونلاحظ أن الفارابي تناول النوع الأول "حروف التهجى" ضمن بحثه في أصل اللغة ونشؤها وذلك عندما تحدث عن كيفية حدوث الحروف في أجزاء الحلق واللسان والشفنتين.. أما النوع الثاني "حروف المعاني أو الحروف التي وضعت دالة على معان" -وهي التي تعتبر قسم من أقسام الكلام إضافة إلى الاسم والفعل- فنجد أن كتاب

(١) ينظر: الحروف، للفارابي، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت - لبنان. ٢٧ - ٣٠ - ٣١

(٢) ينظر: المعجم الوسيط ١/ ٧٢.

(٣) ينظر: المخصص لابن سيده ٤/ ٢٢٥.

"الحروف" يبحث أكثر ما يبحث في الحروف بهذا المعنى والأمور الأخرى التي يبحث فيها لواحق وأشياء لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بهذه الحروف. من الأمثلة على ذلك : حرف (متى - إن - عن - ما - أي - كيف - هل) . والفارابي لا يبحث في جميع الحروف ولا في أكثرها بل في عدد قليل منها، وذلك لأنه بحثها في كتابيه (الألفاظ ، وشرح العبارة) .

كما أنه قد بحث في هذا الكتاب في " الحروف التي يُسأل بها عن المقولات ، والأشياء المطلوبة بهذه الحروف وما ينبغي أن يجاب به فيها " وأكثر هذه يسميها الفلاسفة باسم تلك الحروف أو باسم مشتق منها . ومن الأشياء المطلوبة بالحروف ما لها أسماء ليست حروفاً ولا مشتقة من الحروف بحسب الشكل اللفظي ، ومع ذلك يمكن اعتبارها حروفاً أو مشتقة من حروف بحسب معناها وهو الأمر الذي ينظر فيه المنطقي والفيلسوف ، ولذلك يبحث كتاب الحروف في ألفاظ هي في اصطلاح النحويين من الأسماء مثل : الجوهر والذات والشيء (١)

إذن المقصود بالحروف في كتاب الفارابي هي حروف المعاني أو التي تدل على معنى وليس المقصود بها حروف التهجي ..

(١) ينظر : الحروف ، للفارابي ، ٢٨-٢٩

المبحث الثاني: نشأة اللغة والنحو عند الفارابي

يرى الفارابي أن ظهور المعارف المشتركة أسبق في الزمن من الصنائع العملية ويحاول بداية شرح كيفية تكوّن المعارف وكيفية حدوث الحروف والألفاظ بدءاً من الإحساس فالتجربة فالفكرة من ثم نشأة العلوم العمليّة والنظرية، وبين الفكرة ونشأة العلوم يضع الفارابي مرحلة نشوء اللغة .
أولاً: نشأة اللغة :

نشأة اللغة موضوع من الموضوعات التي تثير الجدل في دائرة البحث الفلسفي للغة ، فهناك عدة نظريات تناولت كيفية نشوء اللغة، وذلك لأن تحديد الزمن الذي نشأت فيه اللغة ليس بأمر سهل .ولقد تفاوتت الآراء حول كيفية نشأتها. ومن تلك النظريات (نظرية المحاكاة لأصوات الطبيعة) و(نظرية التعبير الطبيعي عن الانفعالات) و(نظرية الرنين الطبيعي) و(النظرية الإلهامية والنظرية الاتفاقية) .

ومن بين تلك النظريات التي دار حولها الجدل بين الفلاسفة والعلماء (النظرية التوقيفية والنظرية الاصطلاحية) .ويعد الفارابي من أنصار ومؤيدي النظرية الاصطلاحية^(١) حيث نجده في الباب الثاني يقدم رأيه في مسألة نشوء اللغة ويتدرج في ذلك تدرجاً منطقياً من بداية تكون المعارف إلى تكون الصنائع العلمية على النحو الآتي :

١- يكون هناك اجتماع لـ (جماعة بشرية واحدة) يكونون في مسكن وبلد محدود ،ولهم فطرة وخلق وأمزجة محدودة ،وتكون أنفسهم معدّة ومسدّدة نحو معارف وتخيلات وتصورات وانفعالات محدودة الكميّة والكيفيّة ،وتكون أعضاؤهم معدّة لأن تكون حركتها إلى جهة ما وعلى أنحاء أسهل عليها من حركتها إلى جهات أخرى - ومن الفطرة أن يتحرك الإنسان نحو الشيء الذي تكون حركته إليه أسهل عليه - ولذلك يفكر ويتصور ويتعقل ويتخيّل كلّ ما كان استعداده له بالفطرة أكثر وأشدّ لأن هذا هو الأسهل عليه " وأوّل ما يفعل شيئاً من ذلك يفعل بقوة فيه بالفطرة وبملكة طبيعية لا باعتياد له سابق قبل ذلك ولا بصناعة .وإذا كرر فعل شئ من نوع واحد مراراً كثيرة حدثت له ملكة اعتياديّة إمّا خلقية أو صناعية " .

٢- عندما يريد الإنسان أن يعرف غيره بما في ضميره أو مقصوده استعمل أولاً :

(١) ينظر : فلسفة اللغة عند الفارابي "كتاب الحروف أنموذجاً" ، لحسن حسين صديق ، بحث منشور على الانترنت ص ٥.

أ- الإشارة .

ب- ثم استعمل بعد ذلك التصويت ، وأول التصويتات النداء ، وذلك عندما يقتصر في الدلالة على ما في ضميره بالإشارة إلى المحسوسات، ثم تطور النداء إلى استعمال أصوات مختلفة يدلّ بواحد منها على واحد ممّا يدلّ عليه بالإشارة إليه وإلى محسوساته، فيجعل لكلّ مشار إليه صوتاً محدداً . ثم يوضّح الفارابي كيفية حدوث الصوت أو التصويتات بقوله : (إنّما تكون من القرع بهواء النفس بجزء أو أجزاء من حلقه أو بشئ من أجزاء ما فيه وباطن أنفه أو شفثيه...والقارع أولاً هي القوة التي تسرّب هواء النفس من الرئة وتجويف الحلق أولاً فأولاً إلى طرف الحلق الذي يلي الفم والأنف وإلى ما بين الشفتين ، ثم اللسان يتلقى ذلك الهواء فيضغطه إلى جزء من أجزاء باطن الفم وإلى جزء من أجزاء أصول الأسنان وإلى الأسنان ، فيقرع به ذلك الجزء فيحدث من كل جزء يضغطه اللسان عليه ويقرعه به تصويت محدود وينقله اللسان بالهواء من جزء إلى جزء من أجزاء أصل الفم فتحدث تصويتات متوالية كثيرة محدودة)^(١)

ولأن اللسان يتحرك أولاً إلى الجزء الذي حركته إليه أسهل لذلك تختلف الجماعات البشرية في نطقها للأصوات تبعاً لاختلاف أعضائها النطقية وتركيب جهازها النطقي .. وهذا هو السبب الأول في اختلاف ألسنة الأمم فتلك التصويتات الأولى هي الحروف المعجمية ..

٣- وبعد مرحلة أخرى من التطور لا تعد فيها هذه الحروف تف بالدلالة على جميع ما في ضمائرهم فيبدأون في مرحلة تركيب الألفاظ (الكلمات) وذلك عن طريق موالاة حرف بحرف آخر فينتج منها كلمات بحرفين أو عدة أحرف فتكون الحروف والألفاظ الأولى علامات لمحسوسات يمكن أن يشار إليها ولمعقولات تستند إلى محسوسات يمكن أن يشار إليها "

٤- يتبين لنا مما سبق ذكره أن اللغة ومفرداتها اصطلاحية - توافقية بين الناس وذلك عندما يتفقون على تسمية شيء ما باسم من الأسماء ينسجم مع الصفات الظاهرية لذلك الشئ ، وهذا يعطي للغة طابع التعبير والديمومة باستمرار كلما اقتضت الحاجة إلى ذلك، ولذلك نرى الفارابي يشير إلى تواضعية اللغة كما في قوله : ((كلما حدث في

(١) ينظر : الحروف / ١٣٦

ضمير إنسان منهم شي احتاج أن يفهمه غيره ممن يجاوره، أخترع تصويتنا فدل صاحبه عليه وسمعه منه فيحفظ كل واحد منهما ذلك وجعله تصويتنا دالا على ذلك الشيء^(١). أي أن اللغة ظهرت لسد احتياجات الإنسان في مجتمعه، وهذا يدل على أن اللغة تتمتع بخاصية التطور والتبدل كلما اقتضت الضرورة لذلك وبالتالي فإن اللغة اصطلاحية يتم وضعها بالاتفاق بين البشر وتكون من وظيفة ومهام الفيلسوف أو الحاكم.

ولكي يبرر الفارابي موقفه من اصطلاحية اللغة يأتي بنصوص أخرى يثبت بان اللغة قد تم الاتفاق عليها، فيقول: (هكذا تحدث أولاً حروف تلك الأمة وألفاظها الكائنة عن تلك الحروف. ويكون ذلك أولاً ممن اتفق منهم. فيتفق أن يستعمل الواحد منهم تصويتنا أو لفظة في الدلالة على شي ما عندما يخاطب غيره فيحفظ السامع ذلك، فيستعمل السامع ذلك بعينه عندما يخاطب المنشئ الأول لتلك اللفظة، ويكون السامع الأول قد احتذى بذلك فيقع به، فيكونان قد اصطلاحا وتواطئا على تلك اللفظة، فيخاطبان بها غيرهما إلى أن تشيع عند الجماعة)^(٢)..

إن يقرر الفارابي لنا أن اللغة اصطلاح وتواطؤ ذلك كان ينتقل من مرحلة النشأة إلى مرحلة تمكن المتكلم من لغته واعتياده عليها وفي هذا السياق يقول: ((فينشأ من نشأ فيهم على اعتيادهم النطق بحروفهم وألفاظهم الكائنة عنها، وأقاولهم المؤلفه عن ألفاظهم من حيث اعتيادهم لها في أنفسهم وعلى ألسنتهم حتى لا يعرفوا غيرها)^٣. في هذا النص تقرير واضح من الفارابي بالربط بين الفطرة والعادة وتحولها إلى ملكة، وأن ذلك في مجال اللغة يؤدي إلى اكتسابها وتملكها عند الناشئ في المجتمع اللغوي، فاسحة المجال إلى مسيرة الاصطلاح حتى تسجل اللغة وتدون ويأخذ علم اللسان مكانته في هذا السياق^٤.

٥- وهكذا تتشكل الألفاظ المحسوس أولاً ثم صورته في الذهن ثم اللفظ المعبر عنه، وفي مرحلة لاحقة تتكون العبارات والتعابير من دمج الكلمات والألفاظ لتعبر ليس فقط عن الأشياء بل عن العلاقات التي تربط بينها. والفارابي يستخدم أسلوباً برهانياً ليحدد

(١) ينظر: الحروف / ١٣٨

(٢) ينظر: الحروف / ١٣٧

٣- ينظر: المرجع السابق / ١٤١

٤- ينظر: فلسفة اللغة عند الفارابي / ٦

العلاقة بين اللفظ والمعنى ، فهو يقرر أسبقية المعنى على اللفظ ، ويقرر أيضاً أن نظام الألفاظ "اللغة" هي محاولة لمحاكاة نظام الأفكار في الذهن ، وما نظام الأفكار في الذهن إلا محاولة لمحاكاة الطبيعة في الخارج من علاقات بين الأشياء المحسوسة يقول: (إن كانت فطر تلك الأمة على اعتدال وكانت أمة مائلة إلى الذكاء والعلم طلبوا بفطرتهم من غير أن يتعمدوا في تلك الألفاظ التي تجعل دالة على المعاني محاكاة المعاني وأن يجعلوها أقرب شيها بالمعاني والموجود ، ونهضت أنفسهم بفطرها لأن تتحرى في تلك الألفاظ أن تنتظم بحسب انتظام المعاني على أكثر ما تتأتى لها في الألفاظ ...)^١ ويوضح ذلك في موضع آخر بقوله : (ويجرى ذلك بعينه في تركيب الألفاظ فيحصل تركيب الألفاظ شبيهاً بتركيب المعاني المركبة التي تدلّ عليها الألفاظ المركبة ، ويجعل في الألفاظ المركبة أشياء ترتبط بها الألفاظ بعضها إلى بعض متى كانت الألفاظ دالة على معان مركبة ترتبط بعضها ببعض . ويترى أن يجعل ترتيب الألفاظ مساوياً لترتيب المعاني في النفس)^٢ من خلال ما سبق يمكن أن نستنتج من تحليل الفارابي السابق أن هناك نظامين :

- نظام للألفاظ يحاول محاكاة ترتيب العلاقة بين المعاني في النفس
 - ونظام آخر مستقل للمفاهيم والمعقولات تحاول محاكاة ترتيب الأشياء الحسية في الخارج الفيزيائي . ومن هنا يرى البعض ضرورة وجود علمين : علوم اللغة أو علم اللسان الذي يُعنى بألفاظ اللغة وعلاقاتها مع مدلولاتها . وعلم المنطق الذي يُعنى بترتيب العقل للمفاهيم وطرق الاستنتاج السليم للقضايا من البديهيات أي قواعد التفكير السليم .

٦- وبعد أن تكونت الألفاظ والعبارات ، يلي ذلك كما يرى الفارابي (استقرار الألفاظ على المعاني التي جعلت علامات لها) . فصارت واحد - لوحد : (أي لفظ واحد ومعناه واحد) . وكثير لوحد : (أي ألفاظ كثيرة والمعنى واحد) . و واحد لكثير : (أي لفظ واحد والمعاني كثيرة) .

٧- ثم تأتي مرحلة التجوّز في العبارات ، فيعبّر عن المعنى بغير اسمه الذي جعل له أولاً ، فتحدث لدينا الاستعارات والمجازات ثم يتوسّع أكثر في العبارة بتبديل بعضها

١ - ينظر : الحروف / ١٣٨-١٣٩

٢ - ينظر : المرجع السابق / ١٤٠-١٤١

ببعض وتحسينها وترتيبها فنبداً مرحلة الخطبية ثم الشعرية قليلاً قليلاً... فتحصل فيهم من الصنائع القياسية (صناعة الخطابة وصناعة الشعر) وهما العامتان من الصنائع القياسية.. وبعد اشتغالهم بالخطب والأشعار يحدث فيهم رواة الخطب ورواة الأشعار وحفاظ الأخبار التي اقتصت بها _ وهؤلاء هم فصحاء تلك الأمة وبلغاؤها والمرجع إليهم في لسان تلك الأمة - ويظهر فيهم بعد ذلك "الغريب".

٨- ولا يزال هؤلاء يتداولون الحفظ إلى أن يكثر عليهم ما يلتمسون حفظه فحينها تستببط " الكتابة " فيدونون بها في الكتب ما عسر عليهم حفظه ، وما يريدون إبقاؤه لمن بعدهم ..

٩- بعد ذلك يأتي دور صناعة (علم اللسان) لأن الإنسان يتشوق لحفظ ألفاظهم المفردة بعد أن يحفظ أشعارهم وخطبهم ، فيريد أن يسمع ذلك من فصحاتهم وممن قد عني بحفظ خطبهم وأشعارهم و أخبارهم ، فيسمعها من واحد منهم ويكتب ما يسمعه منهم ويحفظه.

١٠- ثم تأتي مرحلة (جمع اللغة) وهنا يضع الفارابي شروطاً و ضوابطاً للذين تؤخذ عنهم اللغة فيشترط :

- أن تؤخذ من الذين تمكنت عادتهم على طول الزمان وتمكنت في أنفسهم ، هذا التمكّن يكون في الحروف والألفاظ والأقويل

- ولم يعد باستطاعتهم التحدث بغيرها ،بمعنى أنهم محصنين عن تخيل حروف أخرى غير لغة حروف أمتهم .

وهذا نجده في سكان البرية الذين يسكنون بيوت الشعر أو الصوف والخيام والسبب في ذلك يعود إلى :

١- لما عُرف عنهم بأنهم أجفى وأبعد من أن يتركوا ما قد تمكّن بالعادة فيهم ، وأحرى أن يحصنوا أنفسهم عن تخيل حروف سائر الأمم وألفاظهم ٢- وأحرى أن لا يخالطهم غيرهم من الأمم للتوحش والجفاء الذي فيهم..

لذلك كان الأفضل أن تؤخذ لغات الأمة عن سكان البراري، ويتحرى منهم من كان في أوسط بلادهم؛ لأن من كان في الأطراف قد يخالطون الأمم المجاورة لهم فتختلط لغاتهم بلغة أولئك... ثم طبق ذلك على العرب عندما مثل بصنيع علماء البصرة والكوفة

الذين أخذوا اللغة من القبائل التي تسكن وسط البراري كقيس وتميم وأسد .. ولم يأخذوا ممن كانوا في أطراف البلاد ..

ثانياً: (نشأة علم النحو):

يبين لنا الفارابي بداية الغاية التي من أجلها وضع علم النحو ، فهو يرى أن القواعد النحوية وضعت حتى يمكن تعليم اللغة وتعلمها ، إذن كانت بداية النحو "تعليمية تعلمية".

ثم بدأ بتوضيح التدرج في وضع قوانين النحو العربي:

أ- جمع الألفاظ المفردة سواء المشهورة أم الغريبة .

ب- تحفظ أو تكتب :الحفظ أولاً ثم الكتابة .

ج- ثم الألفاظ المركبة من الأشعار والخطب .

د- النظر والتأمل من قبل العالم أو " الناظر " .

هـ- يحدث للناظر فيها تأمل ما كان متشابهها في المفردة منها وعند التركيب ، وتؤخذ أصناف المتشابهات منها وبماذا تنتشابه، وما يلحق كل صنف منها فيحدث لها في النفس (كليات) (وقوانين كلية) .

و- يحتاج الناظر إلى ألفاظ يعبر بها عن تلك الكليات والقوانين وهو في ذلك يفعل أحد أمرين :

١- أن يخترع ويركب من حروفهم ألفاظاً لم يُنطق بها أصلاً من قبل ، وذلك مثل تمثيل

النحاة بأمتلة من إنشائهم كقولهم : ضرب زيد عمرو ، وأكل أحمد التفاح .. وغيرها

٢- أن ينقل إليها ألفاظاً من ألفاظهم المستعملة قبل ذلك في معان أخرى غيرها، ويقصد بذلك استشهاد النحويين بالشعر أو القرآن أو النثر ، فإن هذه الشواهد كانت لمناسبات

أخرى ثم استخدمها النحاة لأجل توضيح قواعدهم ..

والأفضل والأجود عند الفارابي أن تسمى القوانين بأسماء أقرب المعاني شبيهاً بالقوانين

(أي من المعاني الأول) ، ويعني الفارابي بقوله : أقرب المعاني ، أي المعاني الحقيقية

وليست المجازية ، وذلك لأنّ المتعلم سيلتبس عليه الأمر ، لذا نختار اللفظ الأول ونترك

المجازي أو المؤول .

-وبذلك أصبحت اللغة صناعة ممكن تعلمها وتعليمها ، فيصبح لدينا خمس صنائع :

(صناعة الخطابة - صناعة الشعر- صناعة رواية الأخبار والأشعار - صناعة علم

اللسان - صناعة الكتابة) .

-يبدأ بعد ذلك الفارابي بتوضيح هذه الصنائع مبتدئاً بـ :

١- صناعة الخطابة :وهي تعني عنده : "جودة إقناع الجمهور في الأشياء التي يزاولها الجمهور وبمقدار المعارف التي لهم وبمقدمات هي في بادئ الرأي مؤثرة عند الجمهور وبالألفاظ التي هي في الوضع الأول على الحال التي اعتاد الجمهور استعمالها"

يتضح لنا من التعريف السابق عناصر الخطابة عند الفارابي وهي كالآتي :

أ- فن إقناع الجمهور في الأشياء التي يزاولها الجمهور أي في الأمور المهمة في حياتهم .

ب- بمقدار المعارف التي لهم ،أي على قدر مستوياتهم العلمية والمعرفية .

ج- بمقدمات في المواضيع المؤثرة عندهم .

د- بالألفاظ التي اعتادوا على استعمالها في حياتهم اليومية .

٢- صناعة الشعر : والصناعة الشعرية عنده تعني: " تخيل بالقول في هذه الأشياء بأعيانها " أي أن الشعر خيال ،فهو يصبغ الواقع بلمحة خيالية قد لا تكون حقيقية في الواقع ...

٣- صناعة علم اللسان يقول: "إنما تشتمل على الألفاظ التي هي في الوضع الأول دالة على تلك المعاني بأعيانها " ولقد تحدث باستفاضة عن علم اللسان فيما سبق لذا لم يقف عنده كثيراً في هذا الموضوع ..

٤- كذلك صناعة الكتابة أو الخط : ذكرها سابقا عندما شبه صناعة النحو بصناعة الخط ،فإن الطريقة التي تم فيها تحويل القواعد النحوية إلى صناعة يمكن تعليمها وتعلمها ،حولوا بها الخطوط إلى صناعة يمكن تعليمها أيضا وتعلمها ...

٥- أما صناعة رواية الأخبار والأشعار : فهي تعدّ علما لكن لم يعطه الفارابي أهمية تذكر، وهكذا تتطور ما يمكن تسميته بالعلوم العامية ،يترافق ذلك مع تطور العلوم العملية من قياس وتقنية ، ومن ثمّ يتلو ذلك نشأة العلوم القياسية التي تعرف بالعلوم الطبيعية ، كعلوم الرياضيات والمنطق ..وتتميز لدينا الطرق الاستدلالية : (الخطبية والجدلية والسفسطائية وأخيراً البرهانية ...ويتضح أن المعرفة اليقينية تنحصر في الطرق البرهانية ..

- وهكذا تتشكل الفلسفة ليلها بعد ذلك نشأة الشريعة أو الدين أو بمصطلح الفارابي (الملة) فعلى رأيه أن الفلسفة يجب أن تسبق الملة وما الملة إلا وسائل خطبية للجمهور والعوام لنقل الحقائق التي نتوصل لها عن طريق الفلسفة . لكن في بعض الحالات (يقصد حالة الأمة الإسلامية) لا تتشكل الفلسفة في مرحلة مبكرة بل يتشكل الدين بشكل مسبق..ومن هنا يحصل التعارض بين تأويلات الدين وتأويلات الفلسفة ،وواجب الفلاسفة تبيين الحقائق بحيث يبدو ما تقرره الملة ليس إلا مجرد مثالات لما تقرره الفلسفة ...

المبحث الثالث: من الآراء اللغوية والنحوية في الكتاب

كان للتكوين اللغوي أثر مهم في حياة الفارابي العلمية والفكرية. وإن تمكنه من العربية لغةً ونحواً واهتمامه الواضح في دراسة النحو على شيوخ النحاة سواء كان ذلك في فاراب أم في بغداد، فضلاً عن مجالس سيف الدولة الحمداني في حلب، قد أدى به كل ذلك إلى صياغة ما نستطيع أن نسميه نظرية متكاملة تتناول اللغة من حيث هي لغة بجوانبها المختلفة، فمنها ما يمسّ الألفاظ وأحوالها التي تشترك فيها جميع الأمم، ومنها ما يمسّ النحو من حيث قواعده وقوانينه التي تنتظم الألفاظ والتراكيب، ومنها ما يمسّ الأصوات والحروف. وينتقل منها إلى صياغة نظرية كلية في تحديد علاقة اللغة بالفكر ..

وعند استعراض تلك الآراء النحوية والقوانين اللغوية يمكننا تلخيصها في عدة محاور وأفكار محددة :

المطلب الأول : تعريف المقولات ووظيفتها :

نجد أولاً في باب "المقولات" حيث يبدأ الفارابي بتعريف "المقولات" بقوله: "وكلّ معنى معقول تدلّ عليه لفظة ما يوصف به شئ من هذه المشار إليها فإنما نسميه مقولة، والمقولات بعضها يعرفنا ما هو هذا المشار إليه، وبعضها يعرفنا كم هو، بعضها يعرفنا كيف هو، وبعضها يعرفنا أين هو، وبعضها يعرفنا متى هو أو كان أو يكون، وبعضها يعرفنا أنه مضاف، وبعضها أنه موضوع وأنه وضع ما، وبعضها أن له على سطحه شيئاً ما يتعشاه وبعضها أنه ينفعل، وبعضها أنه يفعل"^١

من خلال النص السابق نستنتج بعض آراء الفارابي وهي كالآتي :

- أن الألفاظ تحدث بعد أن يدركها العقل. فلا تتكون اللفظة إلا بعد أن يكون لها معنى معقول، وأول معقول هو المحسوس؛ فالمقولات هي تلك المعاني التي يدركها العقل ثم يطلق عليها لفظ من الألفاظ .

- أن وظيفة المقولات هي تعريف المشار إليه ويقصد به- الجوهر، فتعرفنا المقولات ماهية الجوهر، كميته، كفيته، زمن وجوده، ومكانه، إضافته، وفي موضع آخر نجده يرتب الأجناس تبعاً لترتيب أنواع المقولات على النحو الآتي :

١ - ينظر : الحروف / ٦٢-٦٣

-الكمية_ توجد في جميع الأنواع التي تعرفنا في المشار إليه كم هو .
-الكيفية_ كيف هو-الأين _ أين هو- متى _ متى هو-الإضافة _ أنه مضاف
الوضع_ أنه موضوع وضعا ما- أن يكون له _ أن له ما يتغشى جسمه -أن يفعل _
يعرف فيه أن يفعل - أن يفعل _ يعرف فيه أن يفعل.

ويوضح لنا الفارابي أن المقولات تؤخذ من بعض الحروف ،ويقصد ما يجاب بها
من أسئلة مثل : (متى -أين - كيف - كم - أي- ما- هل) يقول : " والذي ينبغي أن
يعلم أن أكثر الأشياء المطلوبة بهذه الحروف وما ينبغي أن يجاب به فيها فيسمي
الفلاسفة باسم تلك الحروف أو باسم مشتق منها ، وكل ما سبيله أن يجاب به في جواب
حرف "متى" إذا استعمل يسمونه بلفظة متى ،وما سبيله أن يجاب به عن سؤال "أين"
يسمونه بلفظة أين ،وما سبيله أن يجاب به في "كيف" يسمونه بلفظة كيف وبالكيفية
(....)

المطلب الثاني : مدلولات المقولات :

يميز الفارابي مدلولات المقول فيقول : "والمقول يُعنى به ما كان ملفوظا به ،كان دالاً
أو غير دال...فإنّ القول قد يعنى به على المعنى الأعم كل لفظ كان دالاً أو غير دالّ
وقد يعنى به ملفوظاً به دالاً ، وإنّ القول قد يعنى به على المعنى الأخص كل لفظ دالّ
كان اسماً أو كلمة أو أداة ..وقد يعنى به مدلولاً عليه بلفظ ما .وقد يعنى به محمولاً
على شئ ما ،وقد يعنى به معقولاً..فإنّ القول قد يدل على القول المركوز في النفس
،وقد يعنى به محدوداً..فإنّ الحدّ هو قول ما .وقد يعنى به مرسوما ،فإنّ الرسم أيضا
هو قول ما ..وبهذه سميت المقولات مقولات ،لأنّ كل واحد منها اجتمع فيه أن كان
مدلولاً عليه بلفظ ، وكان محمولاً على شئ ما مشار إليه محسوس ..وكان أول معقول
يحصل إنّما يحصل معقول محسوس ..وكانت أيضا مفردة والمفردة تتقدم المركّبات " ١

من خلال النص السابق يمكننا أن نلاحظ بعض الآراء اللغوية وهي :

- أن المقول يدل على ما كان ملفوظا به سواء كان دالاً أو غير دال ،أما القول فله
معنى خاص ومعنى عام : فالخاصّ -هو كل لفظ دالّ كان اسماً أو كلمة (فعل)أو أداة

(حرف) - وأما العام : فهو كل لفظ كان دالاً أو غير دال .. وبهذا يتبين لنا أن اللفظ الدالّ هو الذي يحمل معنى معيّن ، واللفظ غير الدالّ هو الذي لا يحمل معنى .

- مدلولات القول لا تقتصر على الألفاظ وحدها ، وإنما قد يكون مدلولاً عليها بعدة أمور وضحتها الفارابي وهي:

١- (الإضافة) : وذلك في قوله :- قد يعنى به محمولاً على شئ ما - بمعنى أن اللفظ لا يفهم إلا مع غيره كقولنا: كتاب زيد ، وقلم محمد ...

٢- (المعنى العقلي) : ويقصد به أن يكون اللفظ دالاً على معنى عقلي مقصود في النفس أو غير محسوس .

٣- (أن يكون محدوداً) يفسّر المراد من قول ما .

٤- (أن يكون مرسوماً) فيكون له دلالة معيّنّة تفهم من الرسم .

- أن الألفاظ الدالة في لسان كل أمة ضربان : مفرد ومركب فالمفرد كالبياض والسواد والإنسان والحيوان .. والمركب منها كقولنا : هذا الإنسان ، محمد طويل ، عمر أبيض .. وأن المفرد يأتي أو يتقدم المركب . فأول ما يدرك الإنسان اللفظة المفردة ثم يركبها مع أخرى ..

- أن الألفاظ الدالة تنقسم إلى : (أسماء ، كلم ، أدوات) ويقصد الفارابي بـ الكلم "الأفعال" وبـ الأدوات "الحروف" وهي التي يسميها النحويون حروف المعاني .

المطلب الثالث : أنواع المقولات :

في بداية باب (أسماء المقولات) يبين الفارابي أن المقولات أنواع وهي كالآتي :

١- المقولات المتفقة أسماؤها : ويقصد بها "المشترك اللفظي" وهي الألفاظ الدالة على المعاني المختلفة ، فاللفظ واحد والمعاني مختلفة مثل : (العين) تطلق على النقد من الدراهم والدنانير ، عين الماء ، العين التي تصيب الإنسان ، عين الشمس ، العين الباصرة ...

٢- المقولات المتواطئة أسماؤها : الاسم المتواطئ : هو الاسم الواحد الذي يقال من أول ما وضع له على أشياء كثيرة ويبدل على معنى واحد يعمها مثل : الإنسان ، الرجل ، الشمس ..

٣- المتباينة أسماؤها : وهي الأسماء المختلفة للمعاني المختلفة كالأسد ، السماء ، الأرض .. وهي الأكثر

٤- المترادفة أسماؤها: وهي المفردات الدالة على معنى واحد، مثل: السيف والحسام والمهذّب والصارم..ومثل: الأسد والضرغام والهزبر والليث...

٥- المشتقة أسماؤها: والاشتقاق عبارة عن: " توليد لبعض الألفاظ من بعض والرجوع بها إلى أصل واحد، يحدد مادتها، ويوحى بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد " وهي المفردات التي تكون على وزن من أوزان المشتقات كاسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة، مثل: عالم، معلوم، عليم، عالم كلها مشتقة من (العلم) ^١.

- ينبغي التفريق بين الأسماء المتفقة أشكال ألفاظها والمتواطئة أشكال ألفاظها، لأنها من المواضيع التي يكثر فيها الغلط وذلك لأن هناك ألفاظ شكلها شكل مشتق ومعناها معنى غير المشتق والعكس صحيح..ومن الأمثلة على ذلك: (الرجل كَرَمٌ) أي كريم -ومنه ما شكله شكل (فَعَل) مصدر، ومعناه معنى مفعول: مثل: خَلَقَ اللهُ، أي مخلوقه.

- ومنه ما شكله شكل ما يَفْعَل ومعناه معنى (ما يَنْفَعَل)
ومنه ما شكله شكل مفعول ومعناه معنى فاعل، مثل: (سَمِيعٌ ، عَليمٌ) أي عالم وسامع أو مستمع ^٢.

- المشترك اللفظي: ما اتحدَ لفظه واختلف معناه، والمتواطئ: هو ما اتحدَ لفظه ومعناه، لكنه يختلف باختلاف السياق. فيخالفه في الشق الثاني من التعريف لأن المعاني في المتواطئ مرتبطة بمعنى عام.

- هناك ألفاظ تكون على شكل ما وتدل على معنى ما، ثم يُجعل هذا اللفظ نفسه دالاً على معنى آخر مجرد عن ذلك المعنى الأول.. وأغلب الظن أنه يشير هنا إلى (الألفاظ المتضادة)، وهي الألفاظ التي تكون بمعنيين متضادين، من أمثلتها في كتب اللغة: الصَّرِيم / يطلق على الليل والنهار، والجَوْن / يطلق على الأسود والأبيض...^٣

١ - ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح / ٢٩٢ - ٣٠١ - ٣٠٩ - فقه العربية، رمضان عبد التواب ٢٩٠-٣٠٩

٢ - ينظر: الحروف / ٧١

٣ - ينظر: فقه العربية / ٣٣٦-٣٤٤

المطلب الرابع : (أشكال الألفاظ وتصريفها):

- الألفاظ التي تدل على ماهية المشار إليه (الذي يعرف ما هو كل واحد مما هو مشار إليه) هي ألفاظ غير متصرفة (جامدة) ، أما الألفاظ الدالة على سائر المقولات الأخر فلها أشكال فهي "متصرفة" .

- إذن الألفاظ منها المشتق ومنها غير المشتق فالكلم وهي الأفعال تلحقها الأزمنة وهي : الماضي والحاضر والمستقبل ، والأسماء والكلم تلحقهما التذكير والتأنيث والتوحيد والتنثية والجمع ..

- وفي الباب الثاني يقسم الفارابي الألفاظ المفردة إلى نوعين :

أ- ألفاظ تدل على أجناس وأنواع الأشياء وهي ما يسميها الفارابي (الكليات) مثل : الإنسان ، الحيوان ، السواد ، البياض .

ب- ألفاظ تدل على الأعيان أو الأشخاص ، مثل : زيد ، عمرو ..^٢

- وقد فصل القول في ذلك في كتابه "إحصاء العلوم" وذكرها في موضع واحد - ويمكن أن نذكر ذلك على سبيل التلخيص - فقد ذكر أن الألفاظ الدالة في لسان كل أمة ضربان : (مفردة + مركبة) - المفرد مثل : البياض والسواد ، والمركبة : مثل : عمرو أبيض ، الإنسان حيوان -

والمفردة : منها : ١- ألقاب أعيان مثل : زيد وعمرو

٢- منها ما يدل على أجناس الأشياء وأنواعها مثل : الإنسان ، والفرس ، والبياض والسواد

والمفردة الدالة على الأجناس والأنواع : منها أسماء ، ومنها كلم ، ومنها أدوات . ويلحق الأسماء والكلم : التذكير والتأنيث ، والتوحيد والتنثية والجمع ، ويلحق الكلم خاصة : الأزمان وهي : الماضي والحاضر والمستقبل .

المطلب الخامس : (النسبة والإضافة عند النحويين):

أما بالنسبة للنحويين فقد استعملوها على معنى أخص من المعاني السابقة فالمنسوب إلى بلد أو جنس أو عشيرة أو قبيلة " يُدلّ عليه عند أهل كل طائفة بألفاظ مشكّلة بأشكال

١ - الحروف / ٧٥

٢ - ينظر : المرجع السابق / ١٣٩

٣ - ينظر : إحصاء العلوم / ١٨-١٩

متشابهة ينتهي آخرها إما إلى حرف واحد مثل ما في العربية والفارسية - أو إلى حروف بأعيانها مثل ما في اليونانية . وكل اسم كان مشكلاً بذلك الشكل فإنه دالّ عندهم على النسبة ، وما عدا ذلك من الألفاظ التي ليست مشكّلة بذلك الشكل فليست دالةً على النسبة " ١

وذلك مثل أن يقال: فلان مكّي : أي ينسب إلى مكة ..

وهكذا يتضح لنا أن النسبة لا تختص بالنحو وإنما يشاركه فيها المنطق والعدد والهندسة لكن بمفاهيم مختلفة فيما بينهم . والفارابي عندما يتحدث عن هذه المسائل ينظر للمسألة في عموميتها أما النحوي فينظر إليها في خصوصيتها ..

أما الإضافة فيقصدون بها : " أن ينسب كل واحد من المضافين إلى الآخر بمعنى واحد مشترك لهما يوجد معاً لكلّ منهما . "

-إذن لا بد في الإضافة أن يكون بين المضاف والمضاف إليه معنى مشترك . وفي موضع آخر يقول : " أن يدلّ على المعاني بألفاظها مشكّلة بتلك الأشكال أو مقرونة بتلك الحروف وما عدا ذلك يسمونها مضافة لا إضافة "

ويقصد بقوله "مشكّلة " أي الحركة الإعرابية وهي الجر في المضاف إليه . وبقوله "مقرونة بتلك الحروف " أي على تقدير حرف للإضافة ، مثال : كتابُ زيدٍ ، فإن الحركة الإعرابية في (زيد) تدلّ على أنه مضاف إليه ، و(الكتاب) مضاف . ويمكن أن نقول : الكتابُ لزيدٍ ؛ فيقترن (زيد) بحرف اللام ليبدل على أن (الكتاب) من ممتلكات زيد .

- ويقصد بقوله : (مضافة لا إضافة) أي : أن الإضافة هي المعنى المشترك ، والمضاف أحد عنصري الإضافة . أي أن الإضافة أعم من المضاف . مثال: كتاب زيد (إضافة) ؛ كتاب مضاف (عنصر من الإضافة) ، و (زيد) مضاف إليه (عنصر من الإضافة) .

- والمضافان ينسب كل واحد منهما إلى الآخر بمعنى واحد مشترك لهما ... ونفهم من ذلك أيضاً أن الإضافة أعم من النسبة لأنها هي المعنى العام المشترك ، والنسبة (طرفي الإضافة)

(نسبة + نسبة = إضافة)، ثم تحدث الفارابي عن أنواع الإضافة وقسمها إلى ثلاثة أقسام:

- ١- ما لا اسم له أصلاً، فيؤخذ اسمهما اللذان يدلان على ذاتيهما لا من حيث هما مضافان، فيستعملان عند الإضافة بدون أن يتبين معنى الإضافة فيهما .
 - ٢- ما يوجد له اسم إذا أخذ لأحدهما ، ولا يكون له اسم إذا أخذ للآخر
 - ٣- ما يوجد له اسمان يدل كل واحد منهما على واحد من المضافين فمنها ما اسمها متباينان مثل : الأب والابن ، ومنه ما اسمها مشتقان من شيء ما مثل : المالك والمملوك ، ومنه ما اسم احدهما مشتق من اسم آخر مثل : العلم والمعلوم ، ومنه ما اسمها جميعاً شيء واحد مثل : الصديق و الصديق .
- وقد رأينا أن نؤخر الحديث عن هذا المحور بعد أن نكون قد تناولنا أهم آراء الفارابي اللغوية والنحوية؛ ليكون بمثابة التلخيص لما سبق ذكره ،
- قسم الفيلسوف الفارابي علوم اللسان إلى سبعة أقسام عظمى ، وذلك في كتابه "إحصاء العلوم " :^١ وهي كما يلي :

(علم الألفاظ المفردة - علم الألفاظ المركبة - علم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة - وقوانين الألفاظ عندما تتركب - قوانين تصحيح الكتابة - قوانين تصحيح القراءة - قوانين تصحيح الأشعار)

١- علم الألفاظ المفردة الدالة: ويعني به الفارابي علم المعاجم يقول فيه وهو الذي "يحتوي على علم ما يدل عليه لفظة من الألفاظ المفردة الدالة على أجناس الأشياء، وأنواعها، وحفظها، وروايتها كلها: الخاص بذلك اللسان، والدخيل فيه، والغريب منه، والمشهور عند جميعهم"

٢- علم المركبة: ويقصد به علم الأقاويل التي تصادف مركبة عند تلك الأمة، من شعر ونثر وخطابة وهي التي صنفها خطباءهم وشعراؤهم وفصحاءهم، وروايتها، وحفظها، طوالا كانت أو قصاراً، موزونة أو غير موزونة..

٣- علم قوانين الألفاظ المفردة: ويعني به علم "فقه اللغة" وهو: العلم الذي يفحص في الحروف المعجمة (عن عددها ،ومن أين خرج كل واحد منها في آلات التصويت

١ - ينظر : إحصاء العلوم للفارابي / ١٩ - إلى ٢٥

، وعن المصوتّ منها وغير المصوت، وعما يتركب منها في ذلك اللسان، وعما لا يتركب، وعن أقل ما يتركب منها حتى حدث عنها لفظة دالة، وكما أكثر ما يتركب، وعن الحروف الذاتية التي لا تتبدل في بنية اللفظ عند لواحق الألفاظ من تثنية وجمع، وتذكير وتأنيث، واشتقاق... وغير ذلك ويعطي أمثلة أصناف الألفاظ المشتقة، ويميز بين الحالات الأولى وبين ما هي منها مصادر، وهي التي منها يعلم الكلم عما ليس بمصدر، وكيف تغير المصادر حتى تصير كلما، ويعطي أصناف أمثلة الكلم، وكيف يعدل بالكلم حتى تصير أمراً ونهياً، وما جانس ذلك في أصناف كميته، وهي الثلاثية والرابعة، والمضاعف عنها وغير المضاعف....

٤- علم قوانين الألفاظ المركبة : ويقصد به الفارابي علمي "النحو والصرف" ويبين لنا أن هذا العلم على ضربين :

أ- يعطي قوانين أطراف الأسماء والكلم عندما تتركب أو ترتب، ويقصد به علم النحو، وأطراف الأسماء منها ما يكون في أوائلها، مثل : لام التعريف في العربية. ومنها ما يكون في نهاياتها وهي الأطراف الأخيرة والتي تسمى "حروف الإعراب"، وأن الكلم ليس لها أطراف أول، وإنما لها أطراف أخيرة. والأطراف الأخيرة للأسماء والكلم في العربية مثل: التنوينات الثلاث، والحركات الثلاث، والجزم...

ب- يعطي قوانين أحوال التركيب والترتيب نفسه: ويقصد به علم الصرف فإنه يبين أولاً كيف تتركب الألفاظ وتترتب في ذلك اللسان، وعلى كم ضرب حتى تصير أقاويل، ثم يبين أيها هو التركيب والترتيب الأفصح في ذلك اللسان ..

٥- علم قوانين الكتابة وتصحيح القراءة :

- علم قوانين الكتابة : يميز أولاً ما لا يكتب في السطور من حروفهم وما يكتب. ثم يبين عما يكتب في السطور كيف سبيله أن يكتب .

٦- أما علم قوانين تصحيح القراءة : يعرف مواضع النقط، والعلامات التي تجعل عندهم لما لا يكتب في السطور من حروفهم، وما يكتب، والعلامات التي تميز بين الحروف المشتركة، والعلامات التي تجعل الحروف التي إذا تلاقت اندغم بعضها في بعض، والعلامات التي تجعل عندهم لمقاطع الأقاويل ...

٧- علم الأشعار: ويقصد به "علم العروض" ويلتقي علم الشعر مع علم اللسان في ثلاثة أمور:

- إحصاء الأوزان المستعملة في أشعارهم: إحصاء تركيبات الحروف المعجمة التي تحصل عن صنف صنف منها، ووزن وزن من أوزانهم وهي المعروفة عند العرب بالأسباب والأوتاد، ثم الفحص عن مقادير الأبيات و المصاريح ...
- النظر في نهايات الأبيات في وزن وزن، وأي النهايات يكون بحرف واحد بعينه، وأيها يكون بحروف أكثر من واحد .
- يفحص عما يصلح أن يستعمل في الأشعار من الألفاظ عندهم مما لا يصلح أن يستعمل في القول الذي ليس بشعر .
- نلاحظ فيما سبق أن الفارابي في تقسيمه لعلوم اللسان اهتم بالألفاظ منذ أن كانت حروفا إلى أن تركيبت هذه الحروف وكونت كلمات ثم انتقل إلى مرحلة الجمل، مميزا لنا بذلك ثلاثة مستويات وهي الصوتي ثم الصرفي ثم التركيبي أو الجملي، وهذا يتماشى مع درس الصوتيات الحديثة في تقسيم الكلمات ووضع مستويات اللغة.

الخاتمة:

أ- أبرز نتائج البحث:

- توصل البحث إلى عدد من النتائج تتمثل في:
- ١- يعدّ كتاب الحروف بحثاً في الفلسفة إضافة إلى مناقشة مواضيع لغوية تتعلق باللغة وعلاقة اللغة بالمنطق وعلاقة اللفظ بالمعنى.
 - ٢- يقصد الفارابي بالحروف "حروف المعاني" أو التي تدل على معنى وليس المقصود بها حروف التهجى .
 - ٣- المقولات عند الفارابي كل معنى معقول تدل عليه لفظة ما ، فالألفاظ لا تحدث إلا بعد أن يدركها العقل ويتصورها . إذن فالمعنى قبل اللفظ ، وتكون المعاني مرتبة على حسب ترتبها في الخارج أو الطبيعة .
 - ٤- أول المعقولات هو علم المشار إليه ويقصد به "الجوهر" وأول مرتبة فيه (مرتبة الماهية) أي ما هو المشار إليه ، ثم تتدرج بعد ذلك التسعة أجناس الأخرى ..
 - ٥- نلاحظ أن نظرة الفارابي للقواعد النحوية و اللغوية كانت نظرة عامّة اتّسمت بالشمولية وذلك لأنّه لم يكن ينظر إلى لغة معينة وإنّما كان ينظر للغات عامّة .
 - ٦- شرح الفيلسوف أعمّ من شرح النحوي وفيه إفادة وذلك في محاولة إدراك القواعد اللغوية والنحوية بكلياتها دون تفاصيلها .
 - ٧- من أهم القواعد في الكتاب : تقسيماته للألفاظ ، فقد قسم الألفاظ إلى عدة تقسيمات : أ- (جامد - متصرف) . ب- (أسماء - كلم - أدوات) : الكلم : يقصد بها الأفعال - الأدوات : يقصد بها الحروف . ج- (مفرد - مركب) المفرد: ينقسم إلى : (أشخاص أو أعيان + الأجناس) . د- أول إدراك للعقل يكون للمفرد ثم للمركب .
 - ٨- تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية وأداة للتفاهم والاتصال ونقل المعلومات بين الأفراد .
 - ٩- أن اللغة تتصف بالتبدل والتطور والتغير وفقاً لمقتضيات العصر، كما أن نشأة اللغة كانت اصطلاحية - توافقية بين الناس وفقاً للضرورة الاجتماعية. ومن أدلة اصطلاحية اللغة قدرة الإنسان على تكوين تصورات عن الأشياء من خلال ملكاته الخاصة ومن ثم التعبير عنها بالألفاظ. لذلك عندما يكون الإنسان منعزلاً عن الآخرين لا يستطيع التعبير عن أفكاره الخاصة ، لان اللغة لا تظهر إلا في أحضان المجتمع.

١٠- إن نظرة الفارابي إلى اللغة كانت نظرة علمية -تجريبية، فهو لم يقل بأن اللغة توقيفية أو إلهام من الله إلى البشر، بل اللغة هي توافقية - اصطلاحية، ظهرت نتيجة للحاجة الإنسانية كي يعبر عن شعوره وإحساسه بالآخرين ولنقل ما يدور بخلداه للآخرين حتى تستمر عملية التواصل بين البشر، فهو بدأ بتحليل اللغة من منظور واقعي، أي هناك توافق بين اللفظ والمعنى حسب اتفاق الناس فيما بينهم بأن تلك الألفاظ تتطابق مع تلك المعاني والأشياء الموجودة في الواقع.

ب - المراجع :

- ١- إحصاء العلوم ، للفارابي ، قدّم له وشرحه: د/ علي بو ملحم ،دار ومكتبة الهلال ،الطبعة الأولى، ١٩٩٦،بيروت - لبنان
- ٢- الحروف ، للفارابي ،تحقيق: محسن مهدي ،دار المشرق ،بيروت -لبنان .
- ٣- دراسات في فقه اللغة ،صباحي الصالح ،دار العلم للملايين .
- ٤- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي دمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- ٥- فقه العربية ،رمضان عبد التواب ،مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- ٦- فلسفة اللغة عند الفارابي "كتاب الحروف أنموذجا"، لحسن حسين صديق ، بحث منشور على الانترنت .
- ٧- المخصّص ،لابن سيده، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ،دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط(١)-١٤١٧هـ .
- ٨- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- ٩- المعجم الوسيط ،مجموعة من المؤلفين ،مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،دار الدعوة .
- ١٠- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث -بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

